وكثيرا ما يخاطب الحق نبيه صلى الله عليه وسلم بامور والمراد غيره نحو قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك
ونحو قوله يا ايها النبي اتق الله ونحوهما من الايات فعلم انه تعالى ما قال ان ربك يعلم انك تقوم الى اخر
السورة الا ليميز بذكر اصحابه الذين لا يشهدون اطلاع الحق تعالى عليهم حال عبادتهم ليستحضروا
عظمة ربهم فيستحيون بين يديه لكونهم كانوا في مقام الترقي في درجات الكمال وقد حدث انا
في نفسي لما حصل عندي كسل في قيام او فتور استحضر ان الله تعالى في صلاتي وعباداتي شيئا فشيئا
الى ان يصير يراقب الله تعالى مع الانفاس الا ما يسامح الحق تعالى به عباده عادة وكانت عائشة
رضي الله عنها تقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله كل احيانه وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى
يقول اذا علم الشيخ من مريده انه يستلذ برؤية شيخه له حال عبادته فليغض عنه حتى يقوى قال ورآني
سيدي ابراهيم المتبولي مرة فوجدت في نفسي اعجابا بذلك فلما اطلع علي قال لي يا علي ما جيتك بالقصد
وانما مررت لحاجة فتذكرتك وانا مار ناسي وكان يقول ينبغي للشيخ اذا علم من مريده رائحة رياء ان
يتلطف به ويصفح عنه ثم لا يزال يلاطفه بضرب الامثال وان الله لا يقبل عملا اشرك فيه غيره حتى
يتخلص ان شاء الله تعالى من ورطة الرياء والحمد لله رب العالمين ومما انعم الله به علي ملاطفتي لاخواني
من الفقهاء اذا استفتوني في امر لا يطيقون المشي عليه فافتيهم بالرخصة ثم اذا بلغ احدهم مقام
الورع عين افتيه بالتشديد وكان الامام النووي لا يطالع في كتاب اخرج من خزانته الذي جعله
الواقف فيه واختصر الروضة كلها من نسخة الرافعي الكبير في خلوة الكتب وكان باب الخزانة
يرتد عليه كثيرا وكان يضع السكين على ركبته ويجعل دماغها في ناحية دون باب الخزانة
خوفا ان يخدش خشب الباب وهذا قدم يشق على غالب الناس اليوم فعله وقد استفتي
الجلال السيوطي رحمه الله تعالى عن نقل الكتب من مدرسة محمود الاستادار مع كونه شرط
في كتاب وقفها انها لا تخرج من المدرسة الا لمصلحة ترميم او خوف من اتلاف ونحو ذلك فاجاب
رضي الله تعالى عنه الذي اقول به الجواز وقد رايت شيخنا شيخ الاسلام علم الدين البلقيني وشيخنا
الشيخ شرف الدين المناوي رضي الله عنهما يستعيران من كتب المحمودية ويمكث الكتاب عندهما
في دارهما سنين عديدة وهما الامامان المقتدى بهما فانهما كانا من الفقه بالمحل الاعلى حيث
بلغا رتبة الاجتهاد في المذهب وكان المناوي صوفيا له احوال وكرامات فلولا رايا ذلك جائزا
ما فعلاه وفي قواعد الشريعة انه يجوز ان يستنبط من النص معنى يخصصه فاذا كان هذا في نص
الشارع فنص الواقف اولى فيقال هنا ان مقصود الواقف بشرطه تمام النفع وتمام الحفظ فاذا
وجد من يحتاج الى الانتفاع بكتاب منها حال تصنيفه لكتب العلم ولا يمكنه الانتفاع لاجل ذلك
في المدرسة وتيقنا بدوام حفظه وصونه جاز الاخراج له وكان ذلك مستثنى من المنع مخصصا
لعموم لفظ الواقف بهذا المعنى المستنبط كما خصص قوله تعالى او لامستم النساء واستثني
منه المحارم بالمعنى المستنبط وهو الشهوة ولا دليل لاستثناء المحارم من اية او حديث سوى هذا
الاستنباط فكذلك هذا قال وقد ذكر الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه ان علماء بغداد
منعوا في بعض السنين تعليم الاطفال في المساجد الا شخصا واحدا كان موصوفا بالصلاح
والخير فاستثنوه من المنع وانهم استفتوا الماوردي صاحب الحاوي من ائمتنا والقدوري
من ائمة الحنفية فافتيا باستثنائه واستدلوا بانه صلى الله عليه وسلم امر بسد كل خوخة
في المسجد الا خوخة ابي بكر فقاسوا استثناءهم لهذا الرجل على استثناء خوخة ابي بكر قال
وهذا استنباط دقيق لا يدركه الا الائمة المجتهدون كالماوردي والقدوري قال وقد استنبطت

قولهم

قولهم حين استفتيت قديما في ابنية القرافة فافتيت بهدمها كلها كما هو المنقول الا مشاهد
الصالحين قياسا على ما افتى به الماوردي والقدوري لكن في المسالة امران ينبغي التفطن لهما
احدهما انه لا يستعار من هذه الخزانة الا ما لا يتيسر وجوده في غيرها بما ليس فيه شرط يمنع
الخروج الثاني انه لا يمكث عند المستعير الا بقدر ما يقضي الحاجة منه في العادة وهو ركن من
الامور ان ما جاز للضرورة يتقدر بقدرها قال وما افتينا به هو الوجه الحسن الصحيح لاطلاق
في ذلك ثم قال وفي المسالة وجه اخر حسن وهو ان بعض ائمة الحنابلة جوز مخالفة شرط الواقف
اذا اقتضت المصلحة ذلك فاذا كان ذلك هو المشهور عندهم فهو وجه حسن يصلح الاستناد
اليه قال ورايت في المسالة وجهين ضعيفين احدهما ان هذا الشرط باطل جنح اليه بعضهم
لكن رده السبكي وقال انه شرط صحيح لان للواقف فيه غرضا صحيحا من حيث ان اخراجها
مظنة ضياعها الوجه الثاني ان يحمل قول الواقف انها لا تخرج على نقلها من مقرها الى مدرسة
اخرى مثلا بجعل مقرها وهذا وجه بعيد انتهى كلام الجلال السيوطي رحمه الله تعالى والحمد
لله رب العالمين ومما من الله تعالى به علي صبري على مجالسة الثقلاء وكتمي عنهم اني ادركت ثقلهم
وعدم غيبتهم اذا قاموا من مجلسي بل ربما اذكر بعض محاسنهم سترا لهم عند من لحق ثقالتهم
من اهل المجلس فانه ما من شخص الا وفيه من الصفات الحسنة والقبيحة ما في غيره ما عدا
الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين فان الله تعالى طهر طينتهم من ساير الاخلاق والصفات
الرديه كما هو مبسوط في هذه المنن وهذا خلق غريب قل من يصبر له حتى رايت سيدي شيخ الاسلام
زكريا رحمه الله يخبط بالعصي لمن قعد ثقاله ويوجهه ليقوم ويقول ضيعت علينا الزمان فيما
لا يعنينا وكان سيدي افضل الدين اذا راى ثقيلا يقصده بالجلوس يقوم ويمشي حتى يتوارى عنه
وكذلك رايت شيخنا امين الدين خطيب الامام بجامع الغمري كان رجل ثقيل ياتيه فكان اذا رآه داخلا
من باب الجامع يقوم ويطلع بيته ويقول انه يحصل لي بمجالسته تالم في باطني لا اطيقه انتهى
ورايت مؤلفا للشيخ جلال الدين السيوطي فيما ورد في الثقلاء من الاحاديث والاثار فمنه ما رواه
الحافظ ابو محمد الحسن بن الجلال ان ابا هريرة رضي الله عنه كان اذا استثقل رجلا قال
اللهم اغفر لنا وله وارحنا منه وكان حماد بن ابي سليمان يقول من كان يرى نفسه ثقيلا فهو خفيف
وبالعكس وكان الطبيب جبريل الشامي يقول نجد في كتبنا ان مجالسة الثقيل حمى الروح وكان
سفيان الثوري يقول انه ليكون في المجلس عشرة انفس وفيهم ثقيل واحد فيروح عليهم
كلهم ويثقلون علي ولما عمي الاعمش قالوا له ما عوضك الله تعالى عن ذهاب بصرك قال عوضني ان
لا ارى ثقيلا وكان ابن شهاب رضي الله عنه يقول اذا ثقل عليك الجليس فاصبر فانها رباط في سبيل
الله فاذا برمك ومللك بطول حديثه فجاهد بقيامه عنك او قيامك عنه وكان ابن ابي عتيق
اذا راى ثقيلا يتناعس ويغمض عينيه حتى لا يراه وروى ابن عبد ربه عن عائشة انها قالت
نزل قوله تعالى فاذا طعمتم فانتشروا في الثقلاء وكان جالينوس يقول انما كان الرجل الثقيل
اثقل من الحمل الثقيل لان ثقل الانسان الثقيل على القلب وثقل الحمل على الصلب والبدن
اي يتوزع كان اخف من الادمي الثقيل لعدم توزيع ثقله وكان حماد بن سلمة اذا راى ثقيلا
قال ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون قال الاصمعي وجلس عندي رجل فاطال الجلوس فقال
لي لعلي قد اضجرتكم قلت نعم ثم راحل قال وقد اثقلتكم قلت ثقل فوق الثقل قال فاني راحل
قلت العجل ثم العجل يا جبلا من جبل فوق جبل وكان الاعمش اذا راى ثقيلا يشرب الماء ويقول النظر الى

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)